

الإعلام الديني وصناعة الطائفية في المنطقة العربية

*Religious media and the sectarian industry
in the Arab region*

د. زروقة اسماعيل

د. عنتر بن مرزوق*

جامعة المسيلة. الجزائر

جامعة المسيلة. الجزائر

مخبر العلوم السياسية الجديدة

مخبر العلوم السياسية الجديدة

ismail.zerrouga@univ-msila.dz

antara.benmerzoug@univ-msila.dz

تاريخ النشر: 2024/06/15

تاريخ القبول: 2024/01/21

تاريخ الاستلام: 2024 /01 /04

ملخص:

تعتبر مسألة الطائفية من المسائل المعقدة و المتشابكة في الدراسات السياسية لارتباطها بخارطة ادراكية للتهديدات المجتمعية من جهة، وتعدد المسببات و المتغيرات المؤثرة فيها من جهة أخرى، فعدم التجانس المجتمعي تبقى الصفة البارزة في الوحدات السياسية المشكلة للمجتمع الدولي، ولا مناص في التعامل مع هذه الظاهرة بحذر شديد لما تشكله من انعكاسات مباشرة في حالة الرضا للمحكومين عن رشادة الحاكم، ولهذا تعتبر الطائفية الدينية من ابرز اشكال التنوع والتعدد التي تتميز بها المنطقة العربية، وقد ادرك الاعلام ذلك باللعب على هذا الوتر الحساس عبر ابراز هذه الظاهرة للرأي العام المحلي و العربي، مستغلا المسألة في تدعيم التراص و التلاحم المجتمعي تارة، و في نشر التفرقة التمييز و التباين تارة أخرى، وهو ما تحاول هذه الورقة البحثية معالجته.

الكلمات المفتاحية: الطائفية؛ الاعلام؛ المنطقة العربية؛ التماسك المجتمعي؛ الاثنية؛ الدولة

Abstract:

The issue of sectarianism is considered one of the complex and intertwined issues in political studies because it is linked to a cognitive map of societal threats on the one hand, and the multiplicity of causes and variables affecting it on the other hand. Societal heterogeneity remains the prominent characteristic of the political units forming the international community, and there is no escape in dealing with this phenomenon. With extreme caution because of its direct repercussions on the satisfaction of the governed with the ruler's guidance, For this reason, religious sectarianism is considered one of the most prominent forms of diversity and pluralism that characterize the Arab region, and the media has realized this by playing on this sensitive chord by highlighting this phenomenon to local and Arab public opinion, exploiting the issue to strengthen community cohesion and cohesion at times, and to spread division. Discrimination and disparity at other times, which is what this research paper attempts to address.

Keywords: *Sectarianism, media, Arab region, societal cohesion, ethnicity, state*

المؤلف المرسل: د. عنتر بن مرزوق

مقدمة:

يمثل الدين أحد مقومات الوجود بالنسبة للإنسان العربي، ذلك أن البيئة العربية بيئة تهيمن عليها الثقافة الدينية بشكل كبير سواء كان تدينا جوهريا حقيقيا أو شكليا مزيفاً، أو كان تدينا رسمياً أو شعبياً، وعلى الرغم من الاختلاف والخلاف الحاصل بين الأديان المتعددة أو حتى بين الطوائف المتعددة لدين واحد إلا أن ذلك لم يمنع كل دين أو فرقة أو طائفة من الترويج لأفكارها ولو على حساب الأديان والفرق والطوائف الأخرى، وذلك باستخدام العديد من الآليات والأدوات التي تمكنها من تحقيق ذلك الهدف.

وتعتبر وسائل الإعلام من أهم الأدوات المستخدمة في التسويق والترويج للفكر الديني على اختلاف مصادره وتنوع إيديولوجياته، ونتيجة لأهمية هذه الوسيلة في تشكيل الرأي العام وصناعة الأفكار سواء محلياً أو دولياً فقد صارت القنوات الفضائية أحد أدوات إدارة الصراعات في السياسة الخارجية للدول خاصة تلك الدول التي لها نظرة توسعية. وهنا برزت أهمية الإعلام الديني لما له من دور كبير في التأثير على أفكار واعتقادات الأفراد والمجتمعات.

المشكلة ليست في بروز قنوات في المجال العربي تهتم بالشأن الديني للأفراد والمجتمعات وإنما في تحول تلك القنوات من قنوات للبناء والتنشئة إلى قنوات تسعى للترويج لخطاب الكراهية وصناعة الطائفية.

هذه المقالة ستحاول تناول دور الإعلام الديني في صناعة الطائفية في المجتمعات العربية، وذلك يتطلب منا الإجابة عن الإشكالية التالية:

كيف ساهمت قنوات الإعلام الديني في صناعة الطائفية وتكريس الانقسام المجتمعي في البيئة العربية؟

سنحاول الإجابة عن هذه الإشكالية من خلال التطرق بالدراسة والتحليل لتناول العناصر التالية:

- الإعلام الديني والطائفية: قراءة مفاهيمية.
- مؤشرات صناعة الطائفية في وسائل الإعلام الديني العربي.
- انعكاسات تأثير الإعلام الديني على صناعة الطائفية في المجتمعات العربية.
- آليات عقلنة دور الإعلام الديني في تجاوز الخطاب الطائفي وبناء المواطنة في المجتمعات العربية.

1- الإعلام الديني والطائفية: قراءة مفاهيمية.

رغم الاختلافات الكبيرة بين الباحثين في التوصل إلى تعريف دقيق جامع لمصطلحي الاعلام الديني والطائفية الا أننا سنحاول من خلال هذا العنصر التركيز على أهم تلك التعريفات مع محاولة إعطاء تعريف إجرائي لكل مصطلح.

أ- تعريف الإعلام الديني:

يعتقد الكثيرون أن الإعلام الديني هو القنوات المتخصصة الدينية الإسلامية التي تبث عبر الفضائيات والمواقع الإلكترونية فقط، لكن يجب التأكيد على أنه أوسع من ذلك بكثير، لأنه يشمل أيضا البرامج الدينية التي تبثها القنوات العامة، كما لا يقتصر فقط على

القنوات الدينية الإسلامية التي تعبر عن تيارات الإسلام السياسي أو السلفية بمختلف اتجاهاتها، أو القنوات الشيعية، وإنما يمتد أيضًا إلى القنوات المسيحية، ويشمل ما يبث عبر القناة على الهواء والمواقع الإلكترونية ومواقع التواصل الاجتماعي، فهو منظومة متكاملة¹ كما يمكن تعريف الاعلام الديني في نظرنا بأنه تلك القنوات التي تهتم بتناول القضايا والمسائل المتعلقة بالدين، سواء كان إسلاميا أو مسيحيا أو غيرها من الديانات، لذلك هناك قنوات إسلامية وقنوات مسيحية... وقد تكون قنوات لدين واحد ولكن لفرق وطوائف متعددة كالقنوات السنية والقنوات الشيعية، وكل قناة تسعى لتقديم البرامج التي تتوافق مع عقيدة وأفكار التيار الذي تنتهي إليه وتدافع عنه.

ب- تعريف الطائفية:

ورد تعريف الطائفية في الموسوعة السياسية بأنها: «نظام سياسي اجتماعي متخلف يرتكز على معاملة الفرد كجزء من فئة دينية تنوب عنه في مواقفه السياسية، وتشكل مع غيرها من الطوائف الجسم السياسي للدولة أو الكيان السياسي، وهو لا شك كيان ضعيف لأنه مكون من مجتمع تحكمه الانقسامات العمودية التي تشق وحدته وتماسكه، ويتبع ذلك أن تتحكم الطائفية بحياة الفرد الشخصية، وتحكمه وفق قوانينها وشرائعها الدينية، والتي يقوم فيها رجال الدين بوظيفة الوسيط والحكم في آن واحد.²

وهناك من يميز بين الطائفة كمفهوم يطابق كينونة اجتماعية تتميز بحضورها الاجتماعي وتؤدي وظائف وأدوار اجتماعية سابقة لتكوينات الدولة الحديثة، وبين الطائفية

التي تعرف بأنها نزعة تعصبية تجعل الفرد يقدم ولاءه الكلي أو الجزئي للقيم أو التصورات الطائفية.³

وعلى ذلك فإن الطائفية في تصورنا هي عبارة عن نوع من الولاء المطلق والتعصب الشديد لجماعة معينة تتشارك في أفكار ومعتقدات معينة، وفي عصرنا هذا تمثل الطائفية مفهوم سلبي له تأثير كبير على أمن ووحدانية الدول واستقرار وتماسك المجتمعات.

2- مؤشرات صناعة الطائفية في وسائل الإعلام الديني العربي:

تساهم في وسائل الإعلام الديني في المجتمعات العربية في صناعة الطائفية من خلال مساهمتها في نشر خطاب الكراهية بين مختلف الفرق والتيارات في الدين الواحد، كما يحدث بين القنوات السنية والقنوات الشيعية، وحتى بين قنوات التيار الواحد كما تبرزه البرامج التي تبثها القنوات التابعة للتيار السلفي وقنوات تيار الإخوان المسلمين، إضافة إلى تشويه رموز وشخصيات المذهب المعادي، كما يفعل الإعلام الشيعي بتشويه وسب الصحابة وأمهات المؤمنين، وهذا استفزاز صريح لأتباع المذهب السني في العالم ككل.

ومن مظاهر صناعة الطائفية في وسائل الإعلام الدينية العربية مهاجمة سياسات الدول التي تمثل كل مذهب، كمهاجمة الإعلام الديني السني للسياسات الإيرانية في التبشير بالمذهب الشيعي ومحاربة السنة، وكذا مهاجمة الإعلام الشيعي للسياسات السعودية في المنطقة العربية ومحاربة التيار الشيعي. وهكذا أخذ الصراع السياسي والإقليمي بين الدولتين في المنطقة صبغة دينية من خلال توظيف وسائل الإعلام الديني من قبل مختلف

الدول في إدارة صراعاتها السياسية والإقليمية، وتركيز هذه الأخيرة على واقع حياة الطائفة التي تنتمي إليها في الدولة الأخرى ووصفها كأقلية مظلومة يجب مناصرتها.

كما أن كثير من القنوات الدينية تركز في برامجها على مواضيع الاختلاف والخلاف الديني العقدي بين مختلف المدارس والمذاهب وتقديمتها لعامة الناس بعدما كانت قديما تتم على مستوى النخب والفقهاء والمتخصصين، فانتشرت بذلك فتاوى التكفير والتكفير المضاد في قنوات الإعلام الديني الطائفي، وهي الفتاوى التي تمثل مقدمة للحروب والعداوات وسفك الدماء بين مختلف الطوائف تحت مسمى الجهاد المقدس، ولا شك أن ما يحصل في سوريا أو اليمن بعد اندلاع ما عُرف بثورات الربيع العربي يندرج في هذا الإطار.

كل ذلك ساهم في نشر مظاهر التطرف والمغالاة من خلال الدعوة في كثير من الأحيان إلى تصوير التيار الآخر كعدو حقيقي وجب التحضير لمحاربته، وهذا ما يمكن أن يؤدي إلى نشر الفوضى وعدم التعايش والتوجه نحو الإحتراب الطائفي.

ومن مظاهر صناعة الطائفية تركيز العديد من وسائل الإعلام على وصف الإسلام بالإرهاب وتشويه رموزه والإساءة إليهم والتحريض على أتباعه والدعوة إلى محاربته، وهذا ما أدى إلى التضيق على المسلمين في العديد من الدول الغربية.

3- انعكاسات تأثير الإعلام الديني على صناعة الطائفية في المجتمعات العربية.

انطلاقا مما أشرنا إليه سابقا حول مؤشرات صناعة الطائفية في وسائل الإعلام الديني، فإنه يمكننا تحديد أهم الانعكاسات التي قد تنجر عن ذلك، تأتي في مقدمتها نشر

الفوضى والعنف والتطرف الديني وتهديد الوحدة الوطنية والانقسام المجتمعي خاصة في الدول ذات الطوائف المتعددة، وقد تصل في بعض الأحيان إلى حد قيام احتراب طائفي أو حرب أهلية باسم الدفاع المقدس عن الطائفة، كما قد يحدث تغير في قيم الولاء والانتماء داخل المجتمعات العربية، فقد ساهمت وسائل الإعلام الديني في تحولها من الولاء والانتماء للدين ثم الوطن إلى الانتماء والولاء للطائفة، ولا شك أن بروز ظاهرة الولاء للطائفة خارج حدود الدولة يمثل خطراً وتهديداً للدولة التي ينتمي إليها، كولاء شيعة العراق أو لبنان أو اليمن أو السعودية لشيعة إيران، أو ولاء سنة إيران والبحرين للسعودية، أو ولاء الأقليات المسيحية للدول الغربية... كل ذلك يمثل تهديداً لاستقرار الدول ووحدتها.

كما ساهم الإعلام الديني الطائفي من خلال ما يروج له من أفكار في بروز تيارات سياسية ذات انتماءات طائفية، وهذا ما أدى إلى تهييج الحياة السياسية وتحولها لحلبة صراع من أجل إدارة الخلافات الدينية بين مختلف الطوائف المنتشرة داخل المجتمع الواحد، وفي ظل هذا الواقع المعقد خاصة مع ما تمارسه بعض قنوات الإعلام الديني الطائفي من تضليل إعلامي وتضارب في المعلومات التي تقدمها يشعر الفرد العربي بالتمهان خاصة وإن كل قناة تدعي امتلاك واحتكار الحقيقة المطلقة.

كل ذلك ساهم في تغييب بناء المجتمع الواحد المتماسك وأدى إلى فشل بناء دولة المواطنة، وانتشار سياسات الكراهية واللاأمن في ظل اللاعدالة والتميش والإقصاء والتمييز داخل المجتمعات العربية ولا شك أن الفشل في بناء دولة المواطنة تم استبدالها بتشكيل الطائفية السياسية وبناء الدولة الطائفية وهي الدولة التي تتبنى صياغة وإعداد سياسات

طائفية وهذا أمر خطير، غير أن الأخطر من ذلك يتمثل في تشكيل وبناء تحالفات دولية وإقليمية على أسس ومبادئ طائفية.

4- آليات عقلنة دور الإعلام الديني في تجاوز الخطاب الطائفي وبناء المواطنة في المجتمعات العربية.

لمواجهة تأثيرات الإعلام الديني في صناعة الطائفية في المجتمعات العربية والحد من أخطاره وجب العمل على اتخاذ العديد من الإجراءات والآليات التي يمكنها تحقيق ذلك، لعل من أهمها ما يلي:⁴

- التعامل مع المواطنين على قاعدة المواطنة، وليس على أساس المذهب أو الطائفة أو القبيلة أو المنطقة.
- تعزيز قيمة الحوار ومبادئه وأخلاقياته لحل المشكلات القائمة، بدلا من اللجوء إلى الوسائل العنيفة، والعمل على نشر ثقافة التعايش والاحترام المتبادل.
- إرساء مبدأ العدالة الاجتماعية، وإلغاء التمييز بمختلف أشكاله وأنواعه.
- سن قوانين صارمة تجرم خطابات الكراهية والتحريض الطائفي.
- تعزيز مبادئ حقوق الإنسان، ووضع قوانين لحمايتها.
- إيقاف القنوات الطائفية التي تبث الكراهية.
- إيقاف مسلسل فتاوى التكفير والتكفير المضاد.

ولا شك أن نجاح هذه الآليات في تجاوز خطر الاحتراب الطائفي يتوقف على وجود إرادة سياسية للدول في تشجيع سياسة التعايش في ظل الاختلاف، مع إقامة مؤتمرات

لدراسة هذه الظاهرة وإبراز كيفية مواجهتها بعيدا عن خطاب الكراهية والعنف الذين قد يؤديان إلى سفك الدماء وتهديد تماسك واستقرار المجتمعات.

الخاتمة

يلعب الاعلام الديني دورا كبيرا في نشر الكراهية وصناعة الطائفية في المجتمعات العربية، وهو دور له انعكاسات خطيرة على الدول والمجتمعات، ولذلك وجب العمل على بناء منظومة اعلامية دينية ذات أهداف وغايات نهضوية وحدوية بعيدا عن التعصب والتطرف الديني، والنزاع والاحترا ب الطائفي، والتهيج السياسي، ولا شك أن ذلك لا يمكن أن يتم ما لم يكن هناك اتفاق دولي حول تجريم هذه الأعمال والاعتماد على الحوار بدل الصراع في إدارة الخلافات الدينية والاختلافات السياسية بين مختلف الطوائف.

الهوامش

¹ محمد سيد ريان، الإعلام الديني العربي بين الدعوة والتبش يرو ب الفتن الطائفية. من موقع:

<https://www.mominoun.com/>

² منصور لخضاري، السياسة الأمنية الجزائرية: المحددات – الميادين – التحديات. قطر: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2015.

³ طارق متري وآخرون، المسألة الطائفية وصناعة الأقليات في الوطن العربي. قطر: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2017.

⁴ محمد الشيوخ، خطورة الإعلام الطائفي على الهوية الوطنية. من موقع:

<http://www.alnoor.se/article.asp?id=260298>

قائمة المصادر والمراجع:

الكتب:

- طارق متري وآخرون، المسألة الطائفية وصناعة الأقليات في الوطن العربي. قطر، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2017.
- منصور لخضاري، السياسة الأمنية الجزائرية: المحددات - الميادين - التحديات. قطر، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2015.

المواقع الإلكترونية

- محمد الشيوخ، خطورة الإعلام الطائفي على الهوية الوطنية. من موقع:
<http://www.alnoor.se/article.asp?id=260298>
- محمد سيد ريان، الإعلام الديني العربي بين الدعوة والتبشiroب الفتن الطائفية. من
<https://www.mominoun.com/articles>